

ذهب السودان بعد نفطه: لمن؟

تجه أنظار السودانين الى فبراير/شباط المقبل لمعرفة امكانية تحقيق الوعد التي أطلقها وزير المعادن الشاب، أحمد الصالح الكاروري، ببدء الإنتاج الحكومي من الذهب بمشاركة روسية. ففي أواخر يوليو/تموز المنصرم، أعلن عن التوقيع على عقد بين الوزارة والشركة الروسية «سيبيريا» بحضور الرئيس عمر البشير شخصيا، مما يشير إلى الأهمية التي أسبغت على المناسبة، وفي حفل التوقيع نفسه تحدث الوزير عن الاحتياطات الضخمة المكتشفة من الذهب التي سيجري العمل للبدء في إنتاجها من موقعين في ولايتي نهر النيل والبحر الأحمر، حيث يمكن للموقع الأول أن ينتج ثمانية آلاف طن والثاني 36 ألفا، ولو أن التوقيع مع شركة سيبيريا الروسية اقتصر حتى الآن على الموقع الأول فقط. الوزير أوضح أن نسبة الحكومة من العائد تستصل إلى 75 في المئة وسيكون الباقي للشركة، كما أضاف في تصريحات لاحقة ان الشركة ستقوم بموجب العقد بتوفير مبلغ خمسة مليارات دولار في شكل قرض من مؤسسات التمويل العالمية، بضمنان الذهب النّجّ.

موجودة أم شبحية؟

أثارت هذه الإعلانات العديد من علامات الاستفهام التي اشتعلت بها مواقع التواصل الاجتماعي، بل وشارك فيها وزير سابق للمعادن عبر عن حيرته بخصوص الأرقام الكبيرة التي أعلنها خلفه، بدأت حملة التساؤلات بملاحظة تجاهل وكالات الأنباء العالمية، وخاصة تلك المهتمة بالشأن الاقتصادي مثل رويترز وبلومبيرغ، وهي كلها لها مراسلون في الخرطوم، خيرا بهذا الحجم يمكن أن يكون له تأثيره في تجارة الذهب العالمية، الرواية السائدة ان مراسلي الوكالات الأجنبية يعثو بالخبر الى رئاستهم التي استقصت عن اسم الشركة الروسية المعلن في الخرطوم.. فلم تجد لها أثرا في موسكو، وكان أن اهملت الخبر.

ردت الوزارة ومدير الشركة الروسية بأن القوانين السودانية تفرض تسجيل الشركة في السودان وقد تم ذلك باسم مختلف عن اسم الشركة الأم في روسيا. على ان بعض الباحثين قاموا بالتتقيب عن سجل تلك الشركة الأم ووجدوا ان تاريخ تأسيسها يعود الى العام 1992، كما انها مرت بفترات من التفرغ المالي اثرى التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها روسيا في تلك الفترة، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. ثم سجلت في لندن وكل ما عملت عليه في ميدان الذهب لا يتجاوزإنتاج طن ونصف الطن، وأهم من هذا ان الحكومة الروسية تملك نسبة 66 في المئة من أسهم هذه الشركة من خلال غازبروم بنك، وهي إحدى المؤسسات الاقتصادية الروسية الخاضعة للمقاطعة الغربية بسبب الصراع في أوكرانيا.

الوزارة ردت بأن للشركة سجلا من النشاط التنقيبي عن الذهب في السودان يعود الى العام 2013 حيث استخدمت القمر الصناعي الروسي وتقنيات أخرى للمساعدة في الرصد الميدني لحجم الاحتياطي ورسم الخرائط، وأثبتت ذلك بعمل ميداني وحفر 600 حفرة في الموقع خلال هذه الفترة، وتجميع كل المعلومات وأخذ العينات وتحليلها ومن ثم الوصول الى تحديد الأولي لحجم الاحتياطي ووضع خطة للإنتاج تبدأ بعد ستة أشهر من التوقيع على العقد، ليلبّغ 32 ملنا بنهاية العام الأول ثم يرتفع الى 53 ملنا في العامين التاليين.

في محراب الفن الحديث

أمام مُركّب سينمائي يعرض آخر إنتاجات هوليوود فور صدورها، يقف مئات الشبان الأثقيين يفحصون ملصقات عشرة أفلام جديدة، تعرض هنا قبل وصولها ليد القراصنة.. وهذا يمنح الفرد إحساساً بالإنية وبأنه لم يفقه شيء من الفن السابع وهو مصدر فخر.

هذا مكان تجمع جاذب للشبيبة بعدما انتهت الانتخابات وأغلقت الكثير من المقار الحزبية الموسمية. للإشارة، فقد رواد السينما أكبر من الأصوات التي

حصل عليها أكبر حزب مغربي.

قبل دخول قاعات الحزب يقدم البهو الكبير فرجة حقيقية. يمكن تحصيل الراحة البيولوجية في مراحل فحمة واسعة مضاءة ونظيفة، وهذه نعمة نادرة في الدار البيضاء. بعد شراء التذاكر تنتفح للزبائن قاعات مفروشة ببساط سميك وكراسي بلون لسان الكلب الذي أعجب زُجعة فروع. هنا سمت لذيذ ومكيف يجعل المرء على البساط أشبه بالتخليق في عشر

قاعات لم تكن في قصور الملوك القدامى.

ثم الذكرة سبعة دولارات، مع مشروب وذرة بثلاثة دولارات. عشرة دولارات، وهذا سعر يقوم بوظيفة اصطفاة داروينية للزبائن. هناك عشاق يوتفون عن خلوة، وتمتعهم وحدة الذوق الفني من توثيق العلاقات العاطفية.. يأتي هؤلاء العشاق للسينما ظرفيا، لكن المهم هم الزبائن المنتظمون الذين ألفوا المكان وتظهر عليهم علامات النعمة الشاملة، من مراكمة الحذاء حتى نوع الساعة والعتاف.. من هؤلاء أمهات شابات مصقولات رفقة أطفالهن. الفرجة الجماعية أفضل لن يقدرون على دفع أربعين دولارا بفرجح.. هذا مبلغ يصنع الفرق في السوبرماركت يمكن للفرد أن يتجول مجانا دون أن يشتري شيئا. هنا من لا يدفع لن يدخل، ومن يقدر أن يدخل فليده ثرف الانشغال بالكماريات، وهو يبرهن على علو مرتبته الاجتماعية.

يأتي أبناء الأغنياء بسرراويل جنز غالية وتنانير قصيرة. لكنهم محميون من شر القبيلة والسلفيين ولن تعتقلهم الشرطة بل ستحميهم. تؤكد رنة الضحكات أن زبائن المكان متحررون من الفزع من الحاضر ومتطلباته وقد أوصلهم المصد الاجتماعي الى السقف مبكرا.

في هذا المركب السينمائي أبناء الأغنياء يأكلون ويتسلون في الظل.. حين تقع منهم بعض الذرة لا يحنون لتناولها، تبغهم امرأة في منتصف العمر تنظف البهو الواسع. تتنق الدليلين لتجمع زبائنهم بصبر. يبدو أن عشرة آلاف عام من الفلاحة راكمت السلمة والثروة بيد الرجال، وفرضت على النساء مهناً صغيرة يدخل متواضع، ولن تنقذنن إلا المدرسة التي ستهدم قيم الفلاحين.

ضبط السوسيوولوجي البصاص نفسه مندسا يلاحظ

إفادات الوزير لم تنجح في إشاعة الطمأنينة خاصة مع الارتباك الواضح في التعامل الإعلامي مع عدد الأسئلة المتفجرة حول الصفقة. وأخيراً اعتمد المسؤولون إستراتيجية تقول إن الدولة لن تخسر شيئاً لأن العقد لا يلقي عليها تبعات مالية. وفي وجه المقاطعة الاقتصادية الغربية بقيادة الولايات المتحدة، فإن خيارها أصبحت محدودة، وبالتالي فيمكن الانتظار فترة الشهور الستة «والمية تكذب الفطاس» كما يقول التعبير الشائع. وهكذا أصبح استغلال ذهب السودان في انتظار الفطاس الروسي.

طوق نجاة اقتصادي

عُرِف السودان منذ أمد تاريخية سحيقة بأنه موطن لثروات معدنية عديدة من بينها الذهب. وفي مادة التاريخ التي يدرسها الطلاب في المدارس أن محمد علي باشا بعد أن استقر له الأمر في مصر وخطط للتوسع، اتجعت أنظاره إلى السودان، حيث أرسل بعثات عسكرية جلياً للمال والرجال. والمال إشارة إلى الذهب، لكنه لم يعثر على الكميات التي كان يأمل فيها. وحتى عندما عاثت مصر لاستعمار السودان في شراكة مع بريطانيا في أواخر القرن التاسع عشر، وقع معظم العبء المالي للإدارة الاستعمارية على مصر.

لم يعد للذهب شأن يُذكر إلا قبل خمس سنوات عندما تصاعد نشاط التعدين الأهلي في مختلف مناطق البلاد، وقُدِّر عدد العاملين فيه في فترة من الفترات بأكثر من مليون شخص، نجح كثيرون منهم في تحسين أوضاعهم الاقتصادية، ويقدر أن ذلك الجهد وأنشطته المصاحبة أصبح يعود على الخزينة العامة بنحو ملياري دولار سنوياً. اكتسب هذا الوضع أهميته من ناحيتين: إذ تزامن تصاعد نشاط التعدين الأهلي مع الصدمة الاقتصادية الناجمة عن انفصال جنوب السودان في العام 2011، حاملا معه نحو 75 في المئة من الاحتياطيات النفطية المعروفة في البلاد، ومعهما بالطبع عائداتها من العملات الصعبة وكانت تغطي نحو 90 في المئة من إيرادات البلاد من النقد الأجنبي، الى جانب نصف دخل الخزينة العامة. كذلك فقد تزامنت هذه الفترة مع اشتغال ثورات الربيع العربي. وفي تعقيب للنائب الأول لرئيس الجمهورية، بكرى حسن صالح في مؤتمر صحافي له مؤخراً، أنه لولا التعدين الأهلي للحق السودان بركب الدول التي تعرضت الى تلك الانتفاضات.

وفي الواقع، فإنه وحتى قبل بدء عمل الشركة الروسية، فإن إنتاج الذهب شهد تصاعداً. وصرح وزير المعادن انه في الشهرين الأولين من 2015، بلغ الإنتاج من الذهب 17 طناً، ويتوقع له أن يبلغ 80 ملنا بنهايته. وكان 74 طناً في العام الماضي، بل وتوقع أن يبلغ حجم الإنتاج 100 طن العام المقبل.

ويشير تقرير لصندوق النقد الدولي عن أداء الاقتصاد السوداني انه يتوقع نمواً له بحدود 2.9 في المئة هذا العام، وأن أحد أسباب هذا النمو هو النشاط التنقيبي في مجال الذهب، حيث أصبح يشكل 70 في المئة من الصادرات بعدما كان 10 في المئة خلال فترة السنوات الأربع الماضية. ويحتل السودان حالياً المرتبة الثالثة في إنتاج الذهب بعد جنوب أفريقيا وغانا، وإذا سارت عمليات الإنتاج بمعدلاتها الحالية، وأضيف اليها ما يمكن أن تنتجه الشركة الروسية، فمن المتوقع أن يحتل السودان

15 |

العراق كله بلون الفرق! الهجرة الكثيفة للشباب منبعاها اليأس. وليأس أسباب قوية. الوقاتع. والدور الإقليمي الصاعد للوسيط العُماسي: شفرة دافينشي! والإحصائيات تكشف ما يسمى لستره في الغرب.

2

المجال العام في دول الخليج: كيف يجري ضبطه بأدوات معقدة، كأنها شبكات تُرمى على الناس. وأزمة الدواء في سوريا: يخضع للمحاصصة وهو باب للإثراء غير المشروع.

3

مشروع قانون لـ «المصالحة الاقتصادية» في تونس: إعفاء السراق من المسؤولية والمحاسبة مقابل استعادة بعض الأموال! وفي «بألف كلمة»، بورتريةا لمهاجرين وصلوا الى ألمانيا، وقصة كل واحد منهم.

4



عبد الكريم الميمني - عُمان

كذلك أدى ظهور النشاط التنقيبي في دارفور الى تصاعد الاقتتال القبلي بين بعض الميليشيات المحلية التي تنقلت بسلاحها بين الولاء للحكومة وللمتمردين عليها، بسبب شعور شائع بينها ان الزعامات التي كانت تقاثل الى جانبها حصلت على وظائف وامتيازات شخصية من

المرتبة الأولى في إنتاج الذهب في غضون عامين أو ثلاثة.

أبعاد دولية

أدى ظهور نشاط عمليات البحث عن الذهب في إقليم دارفور المضطرب إلى لفت الأنظار، لدرجة أدت الى هجرات إليه من دول مجاورة مثل أثيوبيا وأريتريا وتشاد ومالي.

مشكلتنا ليست مع.. إسرائيل!

بكثير حتى من رفع العتب. فلماذا يُحجم الإسرائيليون، ومنم سيخافون؟ رجل أعمال واحد، صهيوني يهودي اميركي، يستجلب مئات ملايين الدولارات للاستيطان في القدس، ويقوم بمشاريع فيها بلا توقف. وليس (لو قرنا استخدام لغة المقارنات البسيطة)، ولكنهم غائبون، بل لعل كثيرين منهم يتمنون لو «تخلص» ويقضي الله امرأ كان مفعولا، وننتهي من وجع الرأس الزمن هذا. وأما حكام تركيا فيقررون دعوة حجاجهم إلى «تفدیس جهنم» بزيارة الأقصى لثلاثة أيام وفق تقليد قديم سابق على إسرائيل نفسها وعلى احتلال القدس، فيرجب تجار المدينة القديمة ويفرحون باحتمال توفير هؤلاء الحجاج لبعض المداخليل، عساها تقهيم من البؤس وحتى الإفلاس. وهذا أقصى النى، بينما لا شيء يحول دون تنظيم دعم مالي عربي وإسلامي بحجم الكارثة إلّا..

الخوف من اغضب إسرائيل.

القدس والأقصى يواجهان خطرا كبيرا وداهما. ولكن يا سادة، ذلك لن يلغي المسألة الفلسطينية، وستظل تشكل مصدر والقيود الموضوعة عليهم. وهناك المرابطون والرابطات القميون في أقصى ليل نهار. العلب هو في تبخر الهيئات والصناديق المنشأة بغاية دعم القدس، واكتفاء مجلس التعاون الإسلامي والجامعة العربية بكلام أقل

نحلة الشهاب

قضية

العراق كله بلون الغرق

«... ضيق البلاد التي تكدست على صدرها الكوابيس»

سركون بولص

- ماذا تعمل؟
- باحث ومفكر
- بأي اختصاص؟
- باحث عن عمل، ومفكر بالهجرة.

هذه إحدى حوارات التعارف ـ الساخرة ـ بين شاب وقتاة جرى تداولها في الأشهر الأخيرة في العراق على مواقع التواصل الاجتماعي، دلالة على سيطرة فكرة الهجرة على الشبان في بلاد ما بين النهرين، والمتزامنة مع أزمة اقتصادية إثر إعلان الحكومة العراقية التقشف بسبب هبوط أسعار النفط، الذي يعتمد عليه العراق بشكل كامل في إدارة اقتصاده، وارتفاع كلفة الحرب على تنظيم «داعش» الذي يقضم ثلث مساحة البلاد.

وإن كان النازحون من المناطق الواقعة تحت سيطرة «داعش» هم الأكثر «حاجة» للوذ بجدهم تمسكاً بالحياة، ويقدر عددهم اليوم بـ3.3 ملايين فرد، إلا أن الهجرة باتت هاجساً اجتماعياً عاماً في السنة الأخيرة في أغلب المدن العراقية، إذ أخذت سيرتها دور على لسان الجميع، وكأنهم على يقين بأن المستقبل الذي ينتظرهم هنا قاتم، ولا سبيل للعيش سوى الهجرة. هكذا يتقصى العراقيون اليوم جغرافية أوروبا وطرقها، ويعرفون مسالك الوصول الأسهل وكلفة والأقل تعباً وخطورة إلى ألمانيا وفنلندا والنرويج وبلجيكا. يعرفون مسافات البحر بين سواحل تركيا واليونان، يشخصون الفوارق في التعامل بين أجهزة الشرطة الأوروبية المنتشرة على حدود الدول، يعرفون حتى أين يكمن قطاع الطرق، وما الذي يجب عليهم حمله، وما يحتاجونه من نقود زادا لرحلتهم. يعطون نصائح بالتوقيات الأفضل للحرب بالشهر واليوم والساعة، فضلاً عن ترتيب خارطة للنجاح والفشل بنسب مئوية.

الطفلان المظلومان!

هاجس الهجرة صوّب بصر وبصيرة العراقيين بعيداً عن مجتمعاتهم المتفاداة خلف ثقافة المظلومية التي رسختها الأحزاب السياسية طيلة العقود الماضية، فما عادوا يسألون لماذا نهاجر.. بل متى ومن يأخذنا. ومع تدفق اللجوء السوري إلى أوروبا، تحضر ثقافة المظلومية إلى المشهد العراقي لتعبر عن غياب المهاجر العراقي من الصحافة العربية، والغرق الذي يسود مصير العراق منذ عقود، قبل الغرق الذي يطال العراقيين وغيرهم في رحيلهم إلى المنافي. هكذا تذرمر العراقيون من إهمال أبناء جلدتهم في الحادثة التي مات فيها الطفل إلران الكردي غرقاً، إذ تبين أن طفلين عراقيين غرقا إلى جانب إلران. ضج الجميع بالحديث عن إهمال الطفلين العراقيين في وسائل الإعلام، والاهتمام بالطفل السوري. بيد أن أحداً في العراق لم يتساءل عن الأسباب التي دفعت بوالد للمجازفة بعبور البحر مع طفليه وزوجته؟ تتلخص قصة الوالد بفقدان كرامته ووزقه، فهو خريج جامعة لم يجد عملاً مما أضطره إلى الشغل كسائق تاكسي، إلا أن القوات الأمنية العراقية اشتبهت بمائدية سيارته إلى مجموعات إرهابية فاعتقلته، فاضطر إلى دفع مبلغ مالي للقوات الأمنية لإطلاق سراحه على الرغم من أن التحقيق برّاه من تلك التهمة!

الهجرة.. اليوم وأمس

ليست الهجرة جديدة على العراق وأمله، ولكن سببها في الأصل كان سياسياً، منبعه الخوف من بطش الأنظمة الحاكمة. كان الجميع بانتظار سقوط تلك الأنظمة للعودة. كان لديهم أمل، ولم يكن خيارهم البحث عن أوطان بديلة، وإنما هي مناف يلتاعون فيها، يسمعون أغاني ويكيون. تصير مطارح هجراتهم مؤقتة حتى تحين ساعة العودة، حتى أنهم لا يأخذون أسماءهم معهم ويحتفظون بحيويتهم بمفاتيح بيوتهم، فحين يخرجون من الحدود يحملون أسماء وكنى جديدة يتأدون بها بعضهم بعضاً. بهذا الشكل، عاد الكثير من العراقيين بعد سقوط النظام الديكتاتوري في نيسان / أبريل عام 2003.

أما الهجرة اليوم، فواقفها مختلف تماماً، يختم غياب الأمل على الجميع. صحيح أن الموت المستشري في كل شوارع البلاد سبب في الكثير من الهجرات، لكن الصحيح أيضاً إحساس هؤلاء الشباب بأن بلادهم ليست لهم ما يتسبب بالهروب الجماعي هذا؛ لقد سرقت البلاد من قبل الأحزاب والجميع المسلحة، هؤلاء يملكون سلطة الاستمرار، يهندسون القوانين وفق مفاسدهم لتسيير فسادهم والسيطرة على الموارد والأراضي والمنازل، بل والساحات العلّمة والشوارع. هؤلاء يحكرون حتى الخطابات الوطنية والدين والصبح والخطل، وهؤلاء دعم إقليمي ودولي يقيمهم في مراكز إدارة البلاد وخفتها، وجعل سياستها التجويعية والترويعية للسكان ثابتة ولا متحرك فيها.

اليأس بالأرقام

هذا اليأس الذي زرعت الجماعة السياسية الحاكمة في نفوس السكان، يدفع 15 ألف عراقي كل يوم للحصول على جواز سفر، ويدفع كذلك نحو 3 آلاف شاب للهجرة إلى تركيا ومنها إلى بحر إيجه



«آخ، عمل مشترك بين تمارا عبد الهادي وسندس عبد الهادي – العراق

ومن ثَمَّ إلى أوروبا، عبر 15 رحلة يومية تنطلق من مطارات العراق إلى تركيا وتحمل على متنها أعداداً من المسافرين يمثل الشباب نحو 70 في المئة منهم، بالإضافة إلى الرحلات البرية عبر الحدود التركية مع أربيل. شباب حالون بحال أفضل.. بمواطنة وبلاد لا تفرق بينهم على أساس طوائفهم ولا قومياتهم. ولا تقتصر هذه الهجرات على طائفة أو طبقة اجتماعية، إذ يسافر الشباب غير المتعلم أسوة بالمتعلم. هكذا حملت موجة الهجرة الأخيرة أغلب شبان المسرح العراقي الذين حصدوا جوائز عربية وعالمية. أرسلوا صورهم لنا – نحن الجالسين في المقهى – وهم على يخت يلبسون سترات نجاة ملونة ويؤشرون بصابعهم إلى يابسة اليونان. هجرة الشباب تحديداً أدت إلى تفكك الروابط الاجتماعية في العراق، وقضت على رغبة هؤلاء في بناء عائلة والاستقرار في بلادهم. العديد من الأشخاص طلقوا زوجاتهم وبموا وجوههم صوب بحر أجه، وآخرون تركوا وعودا لعائلاتهم بأنهم «سيسحبونهم» إلى دولهم الجديدة. يجري اليوم أيضاً تداول الرسائل التي تركها الشبان لحبيباتهم الممتة بالوعود. وعد «لم الشمل» على وجه التحديد، وعود الاستمرار بإرسال الهدايا حتى تحين ساعة الذهاب إلى أوروبا.. الحلم. الأمل يكبر في الخارج ويضيق

في الداخل،

أما الأحزاب السياسية المشغولة بالتخطيط لإجهاز على التظاهرات التي تعم العراق منذ شهرين، فليس لديها الكثير لتقوله، لا تشغلهم مع أربيل. شباب حالون بحال أفضل.. بمواطنة وبلاد لا تفرق بينهم على أساس طوائفهم ولا قومياتهم. ولا تقتصر هذه الهجرات على جميع الطوائف والقوميات، هو تقديم نظرية المؤامرة بخصوص كل الأحداث التي أدت إلى احتضار بلاد ما بين النهرين: «إنه مخطط إسرائيلي لتفريغ العراق من مواطنيه الشباب... وثمة ما هو أسخف من ذلك، فهناك إشاعة مرّرت في الشارع مفادها أن هذه الهجرة هي مخطط لتفريغ العراق من شبابه لتسهيل دخول تنظيم «داعش» إلى بغداد!

حال العراق اليوم هو الانسداد بعينه، فهل يستفيق الساسة، كما تقول طرفة متداولة، ولا يجدون أحداً ليحسمونه؟

عمر الجفّال

كاتب صحافي من العراق

العربي السفير

85 في المئة من التونسيين مَدِينون للمصارف و32 في المئة للأقارب، وقد بلغت قيمة القروض المصرفية المقدمة للأسر خلال عام 10 مليار دولار (15.374 مليار دينار)، وتشمل هذه القروض مليون أسرة حسب آخر الدراسات. وقدرت بعض الجمعيات ارتفاع تكاليف الموسم الدراسي هذا العام 30 في المئة، على الأقلّ مقارنة بسنة 2011.

الإحصائيات لا تخشى أحداً

تخشى السلطات الإحصاءات، فالأخيرة هي محور سجلات بسبب التحدي الذي تمثله في العلاقات الاجتماعية. يكفي أن نتابع تقديرات الشرطة لعدد المتظاهرين ونقارنها بالتقديرات التي تنشرها النقابات من جهةها: تنغير الكثافة البشرية في المتر المربع من فريق إلى آخر، كما لو كنا أمام محاولة للسيطرة المباشرة على الحيز المكاني. لا يأتي خوف السلطة من الإحصاءات عن عبث. فالأرقام أقدر من أية حجة أخرى على كشف غياب العدالة. فنضح الإحصاءات ما تعهد السلطة في إخفائه بالخطابات والشعارات. وهكذا، تغيب في المغرب إحصائيات الدخل، وإن كانت أقل تعقيداً من غيرها، فلا تعرف حجم الداخل، ويبقى وهم القائم بين الطبقات الاجتماعية سائداً. هنا نصبح مجبرين على تضيق البحث ليقترصر على حجم الاستهلاك كي نجد بصيص أمل في كشف عدم المساواة في الأجور، ولكنه بصيص أمل فقط.

وبينما تطمس الإحصائيات حول الملكية الزراعية، لا يكون في المتناول سوى إحصائيات استغلال الأراضي التي لا تكشف بوضوح الوضع الحقيقي لغالبية الفلاحين. وبهذه الطريقة تتفادى السلطة مواجهة الإحصائيات الاقتصادية ـ الاجتماعية، إلا حينما تضطر لتقديم توفقاتها الاقتصادية.

الأرقام عنيدة

وبسبب كل ذلك، يصبح للانتخابات هذه الميزة: كشف الأرقام مرفقة بالادوائر الانتخابية التي توضح الحزب الفائز، والحزب الوازن. هنا تصبح الأرقام عنيدة، غير قابلة للتغيير، لأنها تعيد كل حزب إلى حقيقته: من صوت لن ومن لم يصوت!

ولكن يبدو أن العنيين لا يريدون أن يقرّوا الجداول الإحصائية التي تصب إلى حد كبير في مصلحة حزب «العدالة والتنمية»، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الديناميات الاجتماعية والمستقبل. فالأرقام ليس لها بطبيعة الحال الدلالة ذاتها أو التأثير في مختلف المناطق. ولدى «الخاسرين»، يختلط في رؤوسهم غللا الريف والدينة، وتصبحهم هذه الأرقام بالادوار. وهؤلاء عليهم أن يبرروا أمام «السلطة» وعودهم السابقة بتوجيه ضربة للحزب المعين على الحكومة، فقد كرروا مراراً بأنه في مرحلة الانحسار إلى لم يكن في لحظة التخبيط الأخير. لكن الإحصائيات لا تخشى أحداً، تقول الحقيقة من دون زيادة أو نقصان.

وبالنسبة لها، فتمة وجود لأصحاب الماضي وأصحاب المستقبل. من جهتي، أنصح الصحافيين المشككين والسياسيين المحبطين، بسبب سوء التحليل، بقراءة كتاب «les statistiques pour les nuls» أو «الإحصائيات للمبتدئين»، سأتغاضي عن ذكر الطبعة، فهو موجود في واجهات المكتبات.

أميُون!

لا يملك الخبراء المتسرعون سوى كلمة واحدة يشرحون بها الآخرين ما يعجزون غالباً عن فهمه، بالنسبة لهم، يعتبر تصويت «الأميين» كتصويت الهائم، وبالتالي تصبح تحديات الانتخابات غير مفهومة. الأميون يصوتون بناء على أوامر تأتيمهم، أو أموال تصل إلى جيبتهم. ليس هناك من تفكير خاطئ أكثر من ذلك، أذكر هنا حالة المناطق الريفية التي تلقت الأموال لانتخاب حزب معين فعمدت إلى انتخاب حزب آخر اختارته، والأهم من ذلك أن الأمية في المغرب لا تؤثر بشكل كبير على الاختيار. ولا تعني بالضرورة الغباء. يختار الناخبون ممثلهم على قاعدة الحكم عن هم جيد أو سيئ، مع اعتماد معايير لا تختلف عن تلك التي يعتمدها المتعلمون: الصدق، الإدارة الصارمة، الإنجازات، الأخلاق. الفارق الأساسي بين اقتراع الريفيين واقتراع الحضرين يأتي تحديداً من علاقة السكان بالحيز المكاني، ومن العلاقات الاجتماعية المهيمنة. يتوزع السكان في الريف على مساحة أوسع وكثافة سكانية أقل، بهذا المعنى، فهم أكثر خضوعاً للسيطرة الإدارية والعلاقات التي تربط أعضاء المجتمع، الأمر الذي يؤثر إلى حد بعيد في اتخاذهم القرار. في الريف، يرتبط السكان بمعايير محددة ويعرف كل منهم بشكل فردي ضمن المجموعة. وكأعضاء في المجموعة يصبح من السهل تكيف تصويتهم.

الحال ليس كذلك في المدينة، بسبب الكثافة السكانية والصعوبة المتزايدة في السيطرة على الفرد المنفصل من الجماعة. ولكن في الحالتين، الريفية والحضرية، يكون الاقتراع على قاعدة الحجج الموضوعية المرتبطة بوضع الناس وليس بصفتهم أميين أو متعلمين. وبعد هذا العمل ذا أهمية في أخذ تصويت «الأميين» على محمل الجد وعدم النظر إليه بإزدراء.

ساعدون!

أنا أبحث عن حزب يكون زعيمه رجلاً بالعلمي الإنساني الذي يجتمل الجسدين حراً ومستقلاً من دون أن يكون فاسداً أو فاسقاً أو مدعماً أو دمية. أبحث عن حزب يضمن للنساء حق المواطنة والتعبير عن الرأي، وبالحصول يكون حزباً ذا مشروع ونظرة واضحة إلى المستقبل. أرسلوا لي مراجع من فضلكم.

ترجمة: هيفاء زعيتر

محمد الناجي

مؤرّخ وأستاذ السوسيولوجيا الاقتصادية في جامعة محمد الخامس، الرباط

بقوات الشاه لمواجهتها).

وبحكم تاريخها الاستعماري اللديد وخصائص تكوينية أخرى، تمتلك بريطانيا عينا تاريخية أعمق و «أذكى»، وأصابع تدخل أدق تجاه المنطقة من تلك الأميركية إجمالا. وقد استفادت عُمان كثيرا من علاقاتها مع لندن البعيدة عن الصخب ولكن المحورية والكثيفة في الوقت نفسه.

إقليميا، ربما تكون عُمان الدولة النفطية الوحيدة التي لم تسعَ إلى خلق تحالفات خاصة مع أي طرف غير رسمي في أي دولة، سواء كانت تتدخل في مشاكلها أم لا. فبينما تستضيف عواصم عدة كالدوحة وأنقرة مثلا ناشطين إعلاميين وسياسيين من اليمن وسوريا وغيرهما، فإن الزيارات الى مسقط تقتصر على الشخصيات الرسمية. وفي صنعاء مثلا، لم يعرف عن سفير مسقط إقامة علاقات خاصة مع أطراف سياسية على حساب أخرى، كما فعل سفراء الرياض أو الدوحة أو أبو ظبي، وكذلك واشنطن والدول الكبرى. وعلى الرغم من خلاف عُمان في السبعينيات مع اليمن الجنوبية، التي دمت جبهة ظفار، إلا أنها حلت تلك الأزمة بهدوء وصمتت عنها لاحقا. كما أن ترسيم حدودها مع اليمن مر بسلسلة لافقة، مقارنة بملف الحدود اليمنية السودانية.

وحين استضافت عُمان قادة سياسيين مختلفين في السابق، الزمتهم جميعا بالصمت مقابل الضيافة. فهي استقبلت علي سالم البيض بعد خسارته للحرب الأهلية في العام 1994، الذي لم يدل بأي تصريح صحافي ولم يقم بأي نشاط سياسي يُذكر حتى مغادرته لها مطلع الألفية الثالثة. ولعل المفارقة الأبرز أن الرئيس اليمني الحالي عبد ربه منصور هادي كان، بعد استقالته في 21 كانون الثاني/ يناير 2015، قد طلب وساطة الأمم المتحدة ليغادر هو وعائلته إلى عُمان في منفي اختياري. ورفض الحوثيون ذلك، قبل أن تتطور الأمور لاحقا، وتمكنه من النفاذ إلى عدن. وكان قد قرر البقاء في عُمان بعد مغادرته لعدن، ولكن الرياض استدعته إليها قبل انطلاق «عاصفة الحزم» بساعات.

يبقى أن عُمان لا يمكنها التكاثل فحسب على منحن «الحيادية»

العسكرية التي تقودها السعودية في اليمن. وفي العام 2011، حينما وصلت تظاهرات الربيع العربي إلى عُمان، ضخت دول مجلس التعاون الخليجي 10 مليارات دولار مركزها لعُمان للمساعدة على تهدئة الحراك بتلبية بعض المطالب التي تركزت هنا على الشق الاجتماعي. وهكذا، على الرغم من الاختلافات، يبدو أن لجيران عُمان جميعا مصلحة عميقة في دعم السلطة القائمة هناك.

بمنيا، أهل هذا الحيد عُمان للعب دور المسك بشعرة معاوية مع سلطة الحوثيين في صنعاء، وخاصة مؤخرا حينما أدت مسقط أدوارا إنسانية مختلفة، وظلت السلطة عبر أراضيها وطائراتها همزة وصل الوفود الحوتية من صنعاء إلى الخارج. وعلى الرغم من قيام طيران «التحالف» بقيادة السعودية باعتراض طائرة إيرانية (قالت إيران أنها محملة بالمساعدات)، كانت قد أقلتت من عُمان في محاولة لكسر الحظر الجوي على اليمن، إلا أن ذلك لم يؤثر كثيرا على علاقات عُمان بالسعودية (على الأقل ليس في العلن). وتزداد أهمية عُمان بالنسبة إلى السعودية مع إدراك الرياض المتدرج، ومعا باقي دول الخليج، للورطة التي وقعت فيها باليمن، وحاجتها لأطراف محايدة لكن في الوقت نفسه قريبة منها، للخروج من تلك الحرب.

وفي تسلسل لهذا الدور الذي تقوم به عُمان بخصوص اليمن تحديدا، استضافت مسقط مشاورات مغلقة بين الأميركيين والحوثيين قبل أشهر، في أول لقاء مباشر ورسمي بين الطرفين شارك فيه وكيل وزارة الخارجية الأميركية وسفير واشنطن إلى صنعاء، غربا. هندست عُمان علاقتها هندسة مختلفة عما فعله محيطها الإقليمي والخليجي. فعلاقتها مع بريطانيا أوثق وأعمق من علاقتها مع الولايات المتحدة، بحكم الصلات القديمة معها وتبني الإنكليز للسلطنة وتأهيل كوادرها منذ اللحظات الأولى لإعلانها دولة مستقلة، كما أن التنسيق بين الدولتين ظهر بصوت أعلى بعد مساعدة لندن لعُمان على مواجهة ثورة ظفار التي دعمتها عدن في السبعينيات، (والتي تعاملت عُمان معها بيد من حديد واستعانت حتى

و«الهدوء» في السياسة الخارجية للمحافظة على وجود فاعل، بل يثار هنا سؤال نتائج كونها دولة لا تزال تحظر التعددية الحزبية والسياسية.

المضي قدماً

مارست قطر في مطلع القرن الجديد أدوارا مشابهة لدور عُمان، فكانت وسيطا بين الجماعات الفلسطينية، ولعبت دورا رئيسيا في احتواء الحرب التي نشبت بين حكومة صنعاء وجماعة الحوثيين في 2004 – 2009، نتج منه ما يعرف باتفاقية الدوحة (2008)، ومن ثم اتفاق الدوحة اللبناني بعد أحداث أيار/مايو 2007، وقبله المفاوضات السودانية...

لكنها فقدت تماما دور الوسيط الإقليمي بعد ذلك، لأسباب عدة أهمها تحولها إلى طرف ناشط في صراعات الإقليم، وانحيازاتها، ودعمها

لأطراف سياسية والانغماس مع جماعات محلية، وخاصة مسلحة.

وربما تتمكن عُمان على المدى الطويل من استثمار دورها الإقليمي ذاك في محاولة تقريب وجهات النظر بين السعودية وإيران، ما سينعكس مباشرة على العديد من النزاعات في الإقليم. ويمثل استدعاء مسقط لممثلين عن المعارضة السورية مؤخرا مؤشرا مهما على رغبتها في لعب دور إقليمي متزايد، على قاعدة الوساطة لا التحالف والتورط في الصراع. ومع ما يمثله ذلك من مؤشر إيجابي في منطقة متفجرة وملتهبة، إلا أن على عُمان، فيما هي تنحذ دورها «الدافئشي»، ذاك، تجنب الوقوع في الفخ الذي وقعت فيه دول أخرى والمتفيل بمل، يديها بقضايا وملفات أكثر من عدد أصابعها. إذ قد يؤدي حمل أعباء ديبلوماسية ثقيلة، بأدوات وأجهزة إدارية محدودة وغير متكاملة، إلى ردة فعل عكسية وارتباك وتشتت لا تستطيع المنطقة (وليس فقط عُمان) تحمل ثمنه.

فارح المسلمي

باحث من اليمن

1234 هو عدد حالات الإصابة بحمى الضنك في محافظة تعز اليمنية، وفق منظمة الصحة العالمية بينما تشير تقارير يمنية إلى أن العدد هو عشرة أضعاف هذا الرقم. وقد توفي خمسة عشر شخصاً بسبب هذا المرض الذي يندر الموت بسببه، والذي يكفي لإيقافه الحصول على بعض الراحة وشرب مياه نظيفة.

«رغوة الأجاج والمحار وما تبقى».. من أمل

المجال العام في دول الخليج

استثمرت الأنظمة الحاكمة في الخليج في المؤسسات التقليدية منذ تشكل المفهوم الفوقي للدولة في المنطقة بعد اكتشاف النفط، وذلك لغايتين أساسيتين: الأولى محاصرة تخلق مجال عام مستقل ومؤثر. والثانية بناء منظومة مهيمنة على الفرد والمجتمع ومقولة له وفق ما تراه النخب السياسية والاقتصادية، وموجهة له لتوليد شبكات مصالح علائقية تكفل الحد الأدنى من العيش، على حساب منظومة القيم الإنسانية الكلية القائمة، في حدها الأدنى، على العدالة والحرية والمساواة.

التضامنيات كوسيلة للتحكم

سعت أنظمة الحكم في الخليج إلى تكوين تضامنيات جديدة مساندة وداعمة لوجودها وحركتها الاجتماعية والاقتصادية، وبالنتيجة السياسية، يثاج لهذه التضامنيات التعبير عن نفسها ضمن مؤسسة الحكم، وبواسطة رؤساء معينين أو محددين تعترف بهم السلطة ابتداء، وبما أن الدم والدين والمال هي أبرز ما يمكن أن يُميّز به الفرد في المجتمعات ذات البنى التقليدية، فقد استطاعت الأنظمة في المنطقة تأسيس هذه العوامل المايزة بحيث لا يستطيع الإنسان الفرد أن ينفك من أحدها إذا ما أراد التعريف عن ذاته ووجوده، كما تم نسج منظومة تكوين معرفي وثقافي عبر هذه المؤسسات المصنّفة للفرد، استطاعت مع مرور الزمن حصر الإنسان كمجموع متفق على الحكم عليه والتعامل معه، لا كفرد له الحق في أن يبدا طريقه الخاص به في التعرف على الحياة والتعبير عن هممه لها. بل مكّنت السلطة المركزية بعض أفراد هذه التضامنيات من استخدام المال العام في تركيز المصالح القنوية لضرب مفهوم العدالة الاجتماعية في الصميم. يظهر ذلك جلياً في فرص التعليم (العالى منه على وجه التحديد)، الخدمات العلاجية، فرص التوظيف في القطاع العام، تراخيص الوكالات التجارية، فرص الإسكان والأراضي، بل وحتى تراخيص دخول القوى العاملة لدول الخليج والتي هي، في إطارها الحالي، ليست أكثر من سوق نخاسة حديث.

كما حرصت الأنظمة الحاكمة، منذ البداية، على ألا تأخذ هذه التصنيفات صفة المؤسسية على الميدان، لكي لا تراكم تقاليد إدارة لمجموع الإيرادات المكوّنة لها، بل تتعامل معها السلطة كآفراد، هي تعرف متى تلجأ إليهم، وكيف تستثمر وزنهم الاجتماعي وعمقهم الروحي للتحشيد حولها في وقت ضعفها، ولضعضة الصوف في الوقت الذي تلوح فيه بوادر إدراك شعبي لمركزية الجماهير ورغبتها في التغيير.

أمثلة

شيوخ القبائل: وهم الذين تتعامل معهم الحكومة على المستوى المحلي وتدير شؤونهم وتعييناتهم وتصنيفاتهم ومنح امتيازاتهم عن طريق وزارات الداخلية ودواوين الحكم، بعد أن عملت السلطة على إعادة إنتاج القبيلة كمفهوم وشكل، وفق مقاييس تناسبها وتتوافق مع معاييرها. فالنمو الذي حققته مؤسسات الدولة (على وجه الدقة هنا المؤسسات الأمنية والتفقيدية) خفف من اعتماد الفرد على القبيلة، خاصة في تلك الشؤون المتعلقة بآمنه وتفاصيل معاشه اليومي المباشر.

التجار: وهم كبار التجار ورؤساء العائلات التجارية، كما تمثلهم عادة غرف التجارة والصناعة، بالإضافة للوزراء والتفقيذين السابقين، وتجار إقامات العمالة الأجنبية، وملك العقارات والأراضي الذين أثروا من امتيازات قريبهم من السلطة، واستفادوا من احتكارها للقوة والثروة ومن رثى وحسوبيات أصحاب النفوذ طوال العقود الماضية.

شيوخ الأذهاب: وهم عادة الأسماء البارزة في الأذهاب الإسلامية؛ كالسنة والشيعة والإباضية (وتمتد هذه السيطرة حتى على الأديان المتأيشة في المنطقة كالسيحية والهندوسية)، حيث توجههم السلطة للسيطرة على أتباع مذاهبهم في أوقات الصراع الاجتماعي والأزمات الاقتصادية. وتتكفل



جوخة الجساسي - عُمان

السلطة المركزيّة بإجراء رواتب لهم وامتيازات تبقيهم على ارتباط وثيق وعلاقات شبكية متصلة مع بقية تضامنيات السلطة كشيوخ القبائل والتجار والوزراء.

مجالس إدارات الجمعيات الهنية وجميعيات النفع العام: والتي هي نتاج لقوانين وضعتها السلطة المركزية أو اقترحتها على المجالس الاستشارية التي تتحكم بها. لا تفعل هذه الإدارات غير تركيز الحفاظ على الوضع القائم ومحاصرة أي تغيير أو وعي قد يتبرعم في هذه القطاعات نتيجة علاقات العمل والاهتمام والأمال المشتركة.

دور صمام الأمان

الاحتكار الفغال لمصادر الثروة والسلطة في أي مجتمع، وإنْ أظهر استقراراً وسكوناً ودعة، على المدى المتوسط والبعيد، فنتيجته هي الركود الاجتماعي، والعشائشية الاقتصادية، وانسداد الأفق السياسي، واستبدال علاقة المواطنة بعلاقات مُسكنة هشّة، تحركها المصالح، ويسيرها الخوف والرجاء. وتلعب عوامل العصبية القبلية والقنوية والطائفية والمذهبية دوراً حاسماً في التقريب والإقصاء من دوائر الثروة والسلطة، أكثر مما تؤثر عوامل الكفاءة والجدارة والعصامية. كل ما ينجزه هذا الاحتكار هو التجميد القسري للقوى الاجتماعية في تقسيمات متغلّعة تهدف إلى المحافظة على ترتيبات وتوازنات أنية، وعلاقات اجتماعية مزيفة، ومتحكم



بها من قبل سلطة متغوّلة، في الأغلب أمّنية، بحكم القوة والغلبة، وتشاركها من وراء حجاب أوليغاركية رأسمالية صغيرة جداً ومتضامنة، لا هم لهما إلا الحفاظ على الوضع القائم (Status Qu) مهما استنزفت ذلك من موارد البلاد المادية، وهدر الطاقات البشرية، وفوت فرص الإبداع الخلاق لأجل تنمية إنسانية مستدامة.

ما أحذنه الربيع العربي في هذا المقام أنه كشف هشاشة هذه التضامنيات السلطوية والعصبيويات الجديدة، وضعها أمام مشرحة الراي العام، ومراجح وسائل التواصل اليومية، بل أن الراي العام ذاته رأى كيف تخلت عنه هذه المنظومات النفعية عندما حاصرتها الأنظمة الحاكمة بتضييق هوامش حرياته وممارسة حقوقه الأساسية، ووقفت في صف الجلالا في صف الضحية، رغم أنها، أي التضامنيات التقليدية، من أبرز من استفاد مادياً وجوهياً من مرحلة ما بعد الربيع العربي، إذ تم ضخ أموال طائلة لتأمين أمد ولأنها دون أن تطلب ذلك في الأساس. ونالت تمكيناً أوسع وشراكة أكبر في صناعة القرار لتسد أي ثغوب متوقفة في منظومة الحكم بعد أن كشفتها سهام النقد الذي وجهه، وما زال، الشباب والفتات العمشة في المنطقة، بكلمة واحدة، استطاعت هذه التضامنيات إعادة التمركز في النظام الحاكم لاستعادها التكويني لأن تمارس دور صمام الأمان الفاعل في وجه الخيارات الجديدة المنتملة في الشباب وبعض النخب الثقافية والفكرية التي أبرزتها وسائل التواصل الجديدة.

مرتفعة. بعض تجار الدواء في مناطق مثل الرقة ودير الزور لا يتقانون عن شراء الأدوية المصادرة من قبل الجيش النظامي، أو من قبل تنظيم الدولة الإسلامية، ثم يدخلونها في حلقتي الاحتكار والبيع يعماش ربح / سعر عال، في حلب، قد يعترى تأمين الدواء بعض المشقة أو الكثير منها، تبعاً للمنطقة والطبيعة السيطرة العسكرية عليها، ولهذوء الجبهات أو استعمارها. وأحياناً تظهر أدوية بأسماء تجارية غير مالوفة، وأحياناً تأتي من مسارات التهريب مهددة بسوء التخزين والتوزيع.. وفي مناطق أخرى تخضع لسيطرة المعارضة المسلحة، يتوافد الدواء التركي بأسعار تفوق بكثير نظيره السوري، تعادل ستة أضعاف الثمن أحياناً، كما حال حقن معالجة ”للشمانيا“ الجديدة المعروفة هنا بـ”حبة حلب“. لم تعد تلك الجغرافيا محسوبة على أكبر معالم الدواء السورية التي استوطنت منذ عقود جنوب حلب وغربها، مثل الأوبري وأوغاريت وألفا ويونيفارما، إذ تدل العمليات التي تقدّمها المعارضة هناك على فقدان 80 صنف دوائي، بالإضافة إلى توقف 16 معمل دواء عن الإنتاج. وهذا الرقم يتبدّل بحسب معطيات الصراع، لكن الدواء هناك صار تجارة رائجة، تصب في جيوب أقطابها مكاسباً مضمونة.

أسعار الدواء وتكنيك الصعود

في شهر آذار / مارس من هذا العام بدأت وزارة الصحة السورية تروج من جديد لرفع سعر الدواء.. دلّت على ذلك العمليات التي أدلت بها معاونة الوزير للشؤون الدوائية حينما تحدثت عن تجميد معامل الدواء في سوريا ل20 في المئة من مطلقها الإنتاجية كنتيجة لارتفاع سعر صرف الدولار، بحيث ازدادت معه كلفة التصنيع.

غير أن تسعير الدواء في سوريا لا تقرره وزارة الصحة بمفردها. يقود تتبع خيط سعر الدواء إلى وزارة الاقتصاد التي تُسعر الأدوية التي

فلاكتفاء بالضحك على هؤلاء الأشخاص كفيّل بتميع القضية، كما قال المحامي الغاضب طول الوقت يشير إلى القضية بوصفها القضية، ولكنه أبداً لم يضع لها مضافاً إليه. لم يقل أبداً قضية كذا أو كذا. ورفع الحملي الغاضب دعوى بالفعل، وأثبت في دعواه بالأدلة أن الكلام أحق، وقال إن مستوى الجهل في مصر بلغ حدّاً غير مسبوق، وأنه يجب التصدي له، ويجب عدم الاستخفاف به، ويجب عدم الضحك عليه، واستعمل كلمة ”يجب“ حوالي خمسين مرة في عشرة أسطر. وفي المرافعة، وهذا ما رآه المحامي الغاضب بعينه، ظل الناس من حوله يضحكون، وظل هو غاضباً، بسبب ثقافة العقل العربي الذي لا يأخذ هذه المواضيع بجديّة، ولأنه ما يزال آمناً ألفاً عام حتى يتقدم العقل العربي. قبل دخول قاعة المحكمة كان قد حسب تاريخ تقدم العقل

بيد أن تلك النخب نفسها بدت باهتة، فردية، مشتتة، من السهل تحييدها، وكثير منها نخبوي فوقي لا يلمس خطابيه احتياجات الناس الضرورية، مما سهّل على الطرف الأقوى، أي الأنظمة الحاكمة، اختراقها، وتنويع طريقة التعامل معها إما بالاحتواء المادي من خلال توزيع المال والمناصب والمكاسب المادية الصغيرة، أو الإقصاء، إن لم تنفلح الأولى، وهو ما يخشاه القطاع الواسع من هذه الفئة، إذ لا طاقة لهم على تحمل عواقب الإغتيال الاجتماعي، ولا الحصار الاقتصادي في الوظيفة والراتب، ولا العقاب الأبرز والأسهل بيد السلطات الحاكمة اليوم، ألا وهو السجن بتهمة إثارة الشغب والتحرّيش ضد نظام الحكم، أو إفارة الفتنة والنيل من مكانة الدولة...

خلاصات

هل بمقدور المجال العام الجديد، في مظهره الافتراضي على الأقل، توليد مؤسسات مدنية مستقلة ومتماسكة ومقنعة، تكون بمثابة بديل عن المؤسسات التقليدية؟

في ظل تجريم العمل الحزبي، والسيطرة على القطاع النقابي، والتحكم الدقيق بجميعيات النفع العام، بل في ظل المنع والترصّب بأي لقاء في مقهى أو تجمع في مكان عام وتحريم ذلك بخصوص القانون، فإن ميلاد مؤسسات مجتمع مدني مستقلة وفاعلة يبدو انتحاراً جماعياً يتحاشاه الناس ويتجنبون حتى الحديث عنه.

بقي الزمان على تجذير وعي الغياب لهذه المؤسسات، وهو ما يعني إبراز حالات الفراغ والضعف والعشائشة التي تعانيتها قطاعات المجتمع المختلفة جراء ذلك، والتركيز على أوجه قصور التنمية العرجاء، التي لا تأخذ في حسابها إلا النمو الاقتصادي دون اعتبار للتنمية الإنسانية الأوسع، التي تتمركز أساساً على الإنسان بكلل حقوقه وحرياته الأساسية، بإشراكه في عمليات الإدارة العامة والحكم، مع ضمان نظام محاسبة ورقابة وتقييم شفاف لها، يسعى لتحقيق التوازن المطلوب للاحتياجات الضرورية للحياة البشرية وفق احترام مبادئ الحرية الفردية والكرامة والعدالة الاجتماعية، وبقي أيضاً أن تتحمل النخب الثقافية والفكرية مسؤولياتها في سد فراغات الغياب لمؤسسات المجتمع المدني وفعاليات المجال العام، وأن تتجاوز تصنيفاتها الأيدولوجية الضيقة، وأن تركزَ على عصب الخلل لا فروعه، هذا العصب المتمثل في الاستبداد بالسلطة المطلقة واحتكارها وتوريثها، وهدر الطاقات البشرية والطبيعية والزمن، ولا بد لها من الإستغلال على نحت وعي بثقافة سياسية تؤمّن بالتعدد، وقبول المختلف، وتحفظ للبشر حرياتهم الفردية، وتضمن خياراتهم الشخصية، مع التنبيه، وعدم الانجرار خلف خطابات الكراهية القائمة على الطائفية، والمذهبية، والقبلية، والتي هي في الجمل أو الفرد قتابل موقوتة ستنفجر إن عاجلاً أم آجلاً.

هذه النخب (بمفهومها الواسع والمتجاوز لأطر التقليدية) أمام مسؤولية أخلاقية كبيرة إذا ما أرادت التأثير صدقاً وعمقا، بسبب ما يتوفر لها اليوم من وسائل تواصل واتصال سهلة ومجانية. فقل هي مدركة لهذه المسؤولية؟ الزمن القريب كفيّل بالكشف عن الإجابة مهما كانت باهظة الثمن.. ولادة جديدة يتوجب على الجميع تحمل مخاضاتها وتغفراتها، حتى لا يستمر الخليج في نثر حياته على الرمال كما وصفه يوماً شاعر العراق الكبير بدر شاكر السياب: «... وينثر الخليج من حياته الكفار على الرمال رغوهُ الأجاج والمحار وما تبقى من عظام بانس غريق...».

سعيد سلطان الهاشمي

باحث من عُمان

تستوردوها عبر شركة ”فارمكس؟“ ثم إلى وزارة الصناعة وهي تشرف على أسعار معمل ”تاميكو؟“ فيما تتولى وزارة الدفاع الإشراف على المنتجات الدوائية لمعمل ”الديماس؟“ وعلى أسعارها. كل تلك الوزارات تعتمد على سعر صرف الدولار كمقياس لتحديد أسعار الدواء، وما دام سعر صرف الدولا إلى ارتفاع، فمvisير أسعار الأدوية وفق تلك الحجة هو الارتفاع. وهذا ما حدث مؤخراً. رفعت السلطة في سوريا أسعار الدواء المحلي بمقدار 50 في المئة، بعدما كانت قد عدّلت هيكل أسعار الأدوية محلية الصنع وزادته في شهر تموز / يوليو 2013 ليواكب سعر صرف الدولار على أساس 61.69 ليرة للدولار الواحد. نقابة الصيادلة استساعت الزيادة الأخيرة وروجت لها. فقيما اعتبرها ضرورية لاستمرار معامل الأدوية السورية في مسيرة الإنتاج، وبدد متيقناً من أن سعرها بالكاد يغطي الكلفة الفعلية للتصنيع، ومطمئناً بأنها كفيّلة يجعل معامل الأدوية تعادو تصنيع الإصناف التي أوقفت إنتاجها في السابق.

لم تتفع تلك الحجج في توفير قبول لرفع سعر الدواء للمرة الثانية خلال عامين. ظهر التشكيك مجدداً في دوافع السلطة لإقرار تلك الزيادة، ففي أواخر آب / أغسطس من العام الحالي، أخدمت تصريحات رئيس نقابة عمال الصحة في دمشق جدوة قرار رفع سعر الأدوية المحلية، لأنه انبرى يدافع عن نقض ذلك، شارحاً كيف توجد أدوية رابحة بنسبة 100 في المئة لدى أغلب معامل صناعة الدواء، وحاجج السلطة بأن صناعة الأدوية لم تخسر في سوريا خلال الأعوام الماضية حتى يتم رفع سعر منتوجاتها، وإنما انخفضت أرباحها بنسب معينة، ما دفعها إلى الضغط باتجاه إصدار قرار يرفع سعر الأدوية التي تنتجها.

أيمن الشوافي

صحافي من سوريا



يطلب يتكلم في هذه المواضيع في المحكمة عندما أدرك فجأة أن الناس توقفوا عن الضحك على الرجل الذي قال كلاماً أحقq وأنهم يضحكون عليه هو نفسه الآن. في هذه اللحظة حدثت لحظة التنوير، وعرف المحامي الغاضب أخيراً أن عدوه ليس الشخص الذي قال كلاماً أحقq وإنما الناس الذين يضحكون على الشخص الذي قال كلاماً أحقq. عرف المحامي الغاضب عدوه أخيراً وأنسحب من المرافعة وعاد للبيت ليبدأ كتابة دعوى جديدة.

نص نائل الطوخي ورسم مخلوف

الشخص الأحقق والمحامي الغاضب

كان هناك شخص قال مرة كلاماً أحقق، كلاماً أحقق ويمينياً ومؤيداً للنظام، وانهار عليه الناس سخرية وضحكاً وتكنيتاً، ونوعوا على الكلام الأحقق بما هو أحقق منه. وكان هناك أيضاً محام غاضب، يجلس أسفل شجرة ويفتح الإنترنت عن تليفونه ويشاهد فيديو الشخص الذي يقول كلاماً أحقق، ويحمر وجهه من الغضب تحت الشجرة. المحامي كان معارضاً للنظام، ولكنه لم يكن مثل سائر المعارضين التأفهيين الذي يكتفون بالضحك. أصلاً لم يستجب للضحك، بل لم تصدق عنه أدنى علامة على الإبتسام حتى. كان يسير في الشوارع، ويرى موجات الضحك تنفجر، فيحفظ بوجهه جامداً كالحجر. وبشكل ما فقد كانت هذه مهارته التي يفخر بها.

قرر المحامي رفع دعوى قضائية على الشخص الذي قال كلاماً أحقق،



متابعات

في تونس:

قانون لـ «المصالحة الاقتصادية»!

يقضي مشروع قانون «المصالحة الاقتصادية» الصادر بمبادرة من رئيس الجمهورية، بوقف التتبعات والمحاكمات وإسقاط العقوبات على حقّ الموظفين العموميين وأشباه الموظفين، كالوزراء ورؤساء المؤسسات العمومية والمديرين العاملين والقضاة والولاة أو المحافظين.. في الجرائم المتعلقة بالفساد المالي والاعتداء على المال العام. وبحسب رئاسة الجمهورية، تمثل هذه المبادرة محاولة لدعم مناخ الاستثمار، عن طريق تحويل الأموال التي يتم استرجاعها للتوظيف في البنية التحتية والمشاريع التنموية في المناطق الداخلية، وهو ما من شأنه التخفيف من الأعباء التي تواجهها الدولة، بالنظر إلى الضائقة المالية التي تمرّ بها وحالة الإنكماش الاقتصادي التي تعيشها البلاد منذ سنوات.

جرائم المال العام

.. غير أنّ مختلف التقديرات، بما فيها تلك القديمة من قبل المدافعين عن هذا القانون، تثبت عدم الجدوى الاقتصادية لهذه الخطوة، بالنظر إلى ضائلة حجم الأموال التي سيقع استرجاعها. وعموماً، فإنّ هذا القانون مناقض تماماً لمبادئ العدالة الانتقالية ولسارها المتعترّ أصلاً، خصوصاً في شقه المتعلق بـ«كشف الحقيقة»، التي تتجاوز تحديد المسؤوليات الفردية لتفتح المجال أمام تفكيك البات عمل «رأسمالية الحاسب»، التي عرفتها البلاد خلال أكثر من عقدين. والوقوف على تحوّل بيروقراطية الدولة إلى مركز لتصرف النفوذ ومراكمة الثروة.

فعلی عكس «قانون العدالة الإنتقالية» الّذي يجعل من الاعتراف والاعتذار المرفق بشرح للمباسات الجرمية، شرطاً للدخول في مرحلة المصالحة، فإنّ مشروع القانون المقدم من رئاسة الجمهورية يُلزم المعنّيين بتقديم طلب إجراء صلح أمام لجنة مكوّنة أساساً من ممثّلين عن وزارات، وتكون قراراتها نهائية وغير قابلة للعلن. بالتّالي، فإنّ هذا القانون يعطي للسلطة التنفيذيةّ لا للقضاء، صلاحية النظر في جرائم المال العام، كما أنّه يُخرج هذه الجرائم من مسار العدالة الانتقالية ويساهم بالتّالي في طمس آليات اشتغال الجرائم الاقتصادية والفساد المالي، التي استشرت إبان حكم بن علي. خصوصاً إذا علّمنا أنّ العشرات من رجال الأعمال بالإضافة إلى حوالي 7000 موظف عمومي، وفق تصريح أحد مستشاري رئيس الجمهورية، معنّون بهذه المبادرة. ما يعني أنّ هذه الجرائم لا يمكن أن تُخزّل في تجاوزات فردية، بل هي عكس ممارسات شائعة تشابكت فيها مصالح رأس المال البيروقراطية الدولة: التهرب الجبائي، والكسب غير المشروع، وتوزيع القروض

البنكيّة بالحباية ومن دون ضمانات، والسمسرة في الصفقات العمومية، والسطو على الأراضي الحكومية التي يقع تغيير صيغتها القانونيّة بجرّة قلم قبل إدخالها في سوق المضاربات العقارية...

تحالف مراكمة الثروة وحراسة النظام

نحن إذاً أمام علاقة مُركّبة بين الموظفين والمتنفّذين، تكوّنت على أساسها شبكات حكمت لأكثر من عقدين خلف واجهات الحزب الحاكم والبيروقراطية والدولة البوليسية، على أساس حماية المصالح التي تمرّ عبر مراكمة الثروة وحراسة النظام. لم تكن العائلة الحاكمة السابقة وحدها المستفيدة من النهب المنظم للمال العام عبر الإقتراض البنكي أو التهرب الضريبي والجرمكي مثلاً، بل مارسته أجزاء واسعة من طبقة رجال الأعمال وشارك فيه موظفون عموميون يختبئون اليوم وراء قولهم إنّ المظلومة كانت أكبر منهم وإنهم ما كان في استطاعتهم تغييرها. يُسارع النظام اليوم إلى غلق الملفات، والحال أنّ مرحلة التأسيس التي تعيشها تونس تقتضي تفكيك ميكانيزمات ممارسة السلطة ومراكمة الثروة، حتّى يتسنى إرساء نظام ديموقراطي يأخذ ولو بالحدّ الأدنى من مطالب العدالة الاجتماعية لفئات واسعة من الشعب التونسي. لم يكن نظام بن علي قائماً على عصي البوليس فحسب، كما لا يمكن لأيّ نظام سلطوي أن يقوم على القمع حصراً. كان نظاماً قائماً على الولاء والإطماع والخوف والتعلق بحيال السلطة من خلال البحث عن مكان داخل شبكات المصالح التي تدعم نفوذها مع تحرير الاقتصاد وتسارع وتيرة الخصخصة، سيطرت هذه الشبكات على البيروقراطية ورهنت الترقّيات والتعيينات بالولاءات وتنفيذ التعليمات، وشاع بالتالي منطق الغنيمة وتقاسم الكعكة.

رزق «البيليك»..

باعتماده آلية استرجاع الأموال المنهوبة مقابل إسقاط التتبعات، يعكس قانون المصالحة الاقتصادية تهميشاً كلياً للمسؤولية السياسية والقانونية لرتكبي هذه التجاوزات، تساهلًا مع جرائم الاعتداء على المال العام. هو يعكس فهماً معيئاً لبيروقراطية الدولة لا يمكن حصره إلّا بالعودة لإطار التاريخي لعلاقة الحاكم بالحكوم. يستعمل التونسيون عبارة «رزق البيليك»، للدلالة على سطوة المصالح والأواء الشخصية على المال العام. يرمز الرزق إلى أملاك البليات (الحكام) وإقطاعاتهم التي يؤرّعونها على أعوانهم وفق اعتبارات الولاء والطاعة. بالقابل يسعى عمّال الباي إلى تأمين الجباية لولّي نعمتهم وإلى

باحث غير مقيم في مركز كارنيغي للشرق الأوسط، من تونس

صوّرني!



دفع بنا الألم للهروب. ما زلت أشعر بحجارة الطريق التي عبرتها مشياً من دول أخرى.. والآن علينا مواجهة الغياب والحنين إلى الوطن.. وهو ما سيحركنا نحو الأمل والعودة.

(مالك فروان - دمشق)

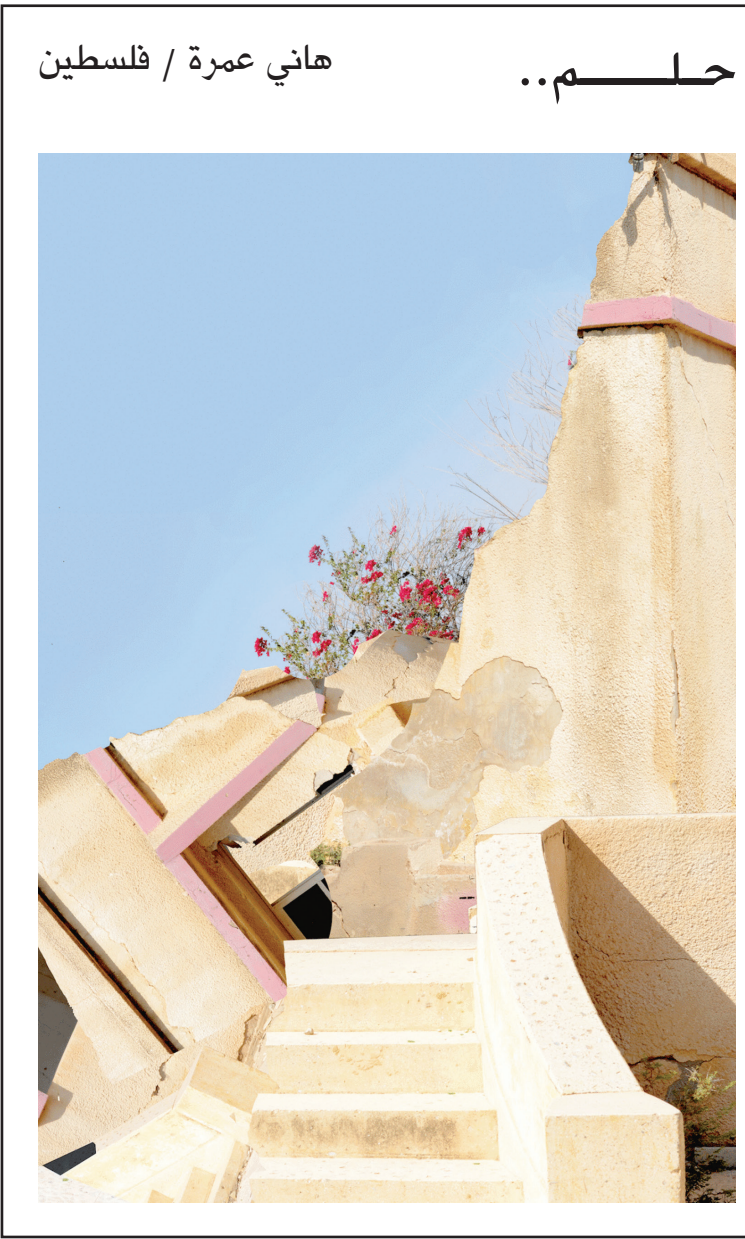


في الطريق، تعبر الغابات والبحر مع الخوف، وفي الطريق يولد لك أهل تخاف عليهم كما على نفسك، وتحدون بفكرة واحدة: التشبث بالأمل.

(أبو هادي - داريا)

الأسفير العربي

11000 هو عدد قرارات الهدم التي أصدرتها السلطات الإسرائيلية في المنطقة ج في الضفة الغربية، وسيؤدي تنفيذ هذه القرارات إلى هدم 13000 مبنى فلسطيني بينها منازل. وفي عام 2014 صدر 14078 قرار هدم، نُفذ منها 2802 وأوقف كلياً تنفيذ 151 قرار.



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «الأسفير العربي»
- في سجود الرافعة: عن رواية حادثة مكة - نورة بنت عفش
- ما العلم؟ استحضار للتغيير في رمزية العلم الفلسطيني- نديم خوري
- إسرائيل كسجن كبير، قصة مordخاي فغنونو - ربيع مصطفى
- تابعونا على «فايسبوك»: الأسفير العربي - Assafir Arabi
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

ما يأتي إلينا هو صورهم في رحلة العذابات واللجوء. نأخذ فرصة ونلتقي باللاجئين السوريين والعرب في برلين في أيام وصولهم الأولى ليتصوروا كما يشاؤون، بسحكاتهم، بنفاسيلهم الرقيقة، من دون تدخل يصنع الصورة.. وخلف كل وجه حكاية. (نص وتصوير: محمد بدارنة - فلسطين)



لا أحد يريد أن يكون لاجئاً، لا شيء يشبه أن تصحب في الوطن.. الذي يعطيك أن تحيا من دون تفتت أهلك بين القذائف، سلبتنا الحرب كل شيء لكنها لم تكسر الإرادة.

(محمد خطيب - تدمر)

ما هو أساسي اليوم

مخلما يُعيد النظام تشكيل المشهد السياسي حكماً ومعارضة، نعيد بناء حركة الاحتجاج الشبابية والشعبية. ما هو أساسي في تحرك «مانيش مسامح» هي هذه الدينامية الشبابية المناضلة التي تتخلق أمام أعيننا. قوة سياسية أفقية التنظيم عميقة الطرح متحاسكة الصفوف. قوة صاعدة يرشحها التاريخ لتجديد المشهد وقيادة المرحلة. لا تهمنا معركة تمثيل المعارضة، يهّمنا معارضة هذه التمثيلية. لا تهمنا مناورات بعض القوى السياسية، يهّمنا التصدي لانتفاف النظام على الحركة الثورية. أيها الرفاق الأعزاء، لا تستحقّ القوى التقليدية المستفيدة من الوضع الراهن، وتحديداً من وضعها الراهن، أي اهتمام، سوى الاهتمام بأدوارها في تخريب الحراك الجديد وتخريب أي امكانية حقيقية لتغيير الوضع الراهن. إنّها قوى تعيق التقدم لأنّها تعيق التفكير والتنظم خارج تنظيراتها. لسنا نراها تواجه النظام فقد صارت جزءاً من كروتونه الجديد وإن رفعت مصاحف الثورة الدائمة أو الدافع الدائم. ما زلنا في بداية الخاض الانتقالي الحضاري من الدولة الغانمية التابعة الى دولة العدالة المدنية الديموقراطية مستقلة القرار والسيادة (...)

الاستقبال يحتاج طلائع تتحرك بجاذبية التقدم إلى الامام، التقدم في التفكير والتنظيم، وإلا سنبقى فراوح بين واقعتا وماضيتا مثل أرجوحة الماغوط. أو مثل ساعة تدقّ إلى الراء. كم نحتاج مناضلين أفذاذاً متحررين من العقائد والأصنام ومهمومين بالإنسان والأرض والحياة.

قد يكون تفوّلاً مبالغاً. او يكون خيالاً محضاً. ولكنه لا يكون خيانة للحقيقة الماثلة أمام أعيننا. هذا هو الأساسي.

من صفحة malek sghiri (فايسبوك)

من صفحة Khaled juma (فايسبوك)

من صفحة Mhmd AbdelRahman (فايسبوك)